

اسم المادة الدراسية : الأءب العباسي ( النشر).

اسم المادة باللغة الانكليزية : Abbasid Literature and prose

(المحاضرة الرابعة عشرة )

عنوان المحاضرة : نصوص نثرية تطبيقية .

التدريسي ولقبه العلمي : أ.ء. محمد عويد محمد السائر

المرحلة الدراسية : الثالثة .

## النثر في العصر العباسي

فنون النثر العباسي(القصة , الرسالة , المقامة , الخطابة)

### الخطابة في العصر العباسي

شهدَ مطلع العصر العباسي نشاطًا ملحوظًا في فنّ الخطابة السياسية، حيث استندت إليها الثورة العباسية لإثبات أحقية بني العباس في الخلافة، ويشار إلى أن الخطابة في العصر العباسي تتشابه مع الخطابة في العصر الأموي و صدر الإسلام من حيث المضمون والشكل، وقد أصبحت مع مرور الوقت من أهمّ مقتضيات الحياة السياسية العربية إلى جانب السلاح، ويُشار إلى أنّها كانت الوسيلة الأولى لبني العباس لإثبات سلطانهم وترسيخ جذور دولتهم وتوطيدها، وما أسهم في تطوّر الخطابة في ذلك العصر ازدياد الفتوحات، فكانت تستخدم كوسيلة لبث الروح الجهادية لدى المقاتلين، ونشر الدروس والوعظ إلا أنها قد بدأت تفقد مكانتها في أواخر العصر العباسي؛ نظرًا لضعف الدولة وبدء سريان الفساد في جسدها، وقد برز في هذا الفن بشكلٍ جليّ كلّ من: الخليفة المهدي العباسي، الخليفة هارون الرشيد، والخليفة المأمون.

### أنواع الخطابة في العصر العباسي

تعدّدت الضروب التي استُخدم بها فن الخطابة في العصر العباسي، حيث كانت تخدم جميع الميادين، مما أفضى إلى ازدهارها وتطوّرها لتكمل مسيرة العصور السابقة في تطوّر الأدب العربي، ومن أهم أنواع هذه الخطابة:

- **الخطب السياسية:** وكان يقف الخلفاء والقادة لإلقائها في مقاصدٍ لتشجيع الجنود وبث الروح الجهادية، واستقبال الوفود، وأول خطبة كانت خطبة أبو العباس.
- **الخطب الدينية:** كان الخطباء يلقون خطبهم الدينية في أيام الجمع والأعياد الرسمية والمناسبات الدينية، ومن أشهرها: خطبة المهدي، وخطبة هارون الرشيد.
- **الخطب الاجتماعية:** وتتعدّد أنواعها، كالذم والمدح والعتاب والاستعطاف وغيرها الكثير.

### خصائص الخطابة في العصر العباسي

اتخذت الخطابة في العصر العباسي مجموعة من الخصائص والسمات لتنفرد بها عمّا سبقها، ويعود ذلك لتعدّد أنواعها في ذلك العصر خاصّةً في مطلعِهِ، ومن أهمّ الخصائص التي طغّت على الفنّ الخطابي:

- جزالة الألفاظ.
- قلة السجع في نصوصها.
- الاستشهاد بآيات القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة بكثرة.
- غلبة الإيجاز على حساب الإطناب.
- الاستعانة بالشعر والاستشهاد منه.

## من أبرز خطباء هذا العصر

- أبو العباس السّفاّح: الذي خطب يوم بويّع بالخلافة في الكوفة، فتحدّث عن مكانة العباسيين وعن قرابتهم للرسول عليه الصلاة والسلام.
- محمد بن عبد الله بن الحسن العوي: الملقب بالنفس الزكية هو أحد معارضي حكم العباسيين كان مشعل الثورة التي سُمّيت باسمه في عهد أبو جعفر المنصور.

### مميزات الخطابة السياسية في العصر العباسي

نشطت الخطابة السياسية في مطلع العصر العباسي الأول، فقد كانت أداةً في بيان حق العباسيين في الحكم لضغط على أبناء عموماتهم في محاولةٍ منهم للاستئثار بالخلافة دونهم، فكانت الخطابة تؤكد على الدوام حقهم فهم الذين قوّضوا حكم بني أمية وحطّموه في ثورتهم، ومن ذلك ما جاء في خطبة أبو العباس السفاّح حين بويّع بالخلافة في الكوفة من حديثه عن قرابتهم للرسول عليه الصلاة والسلام مستدلاً بذلك أيضاً على الآيات القرآنية التي خصّت أهل بيت النبي فقال: (بنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم)، وفي خطبته هذه أيضاً تحدّث عن ظلم الأمويين وكيف تداركهم الله بهم بأن جاءو فردوا الحقوق إلى أصحابها، وبوجه عام ضعفت الخطابة السياسية بشكلٍ عام لأنّ العباسيين عمدوا إلى سياسية البطش وتكميم الأفواه والبطش بكل من تحدّثه نفسه بالخروج عليهم فكانت سياستهم الإذعان أو السيف، ولأنّ الخطابة فنٌّ كلامي يزدهر متى ما سُمح للناس بأن يعبروا بحريّة عن آراءهم وهمومهم إلا أنّ هذا العصر منعت فيه الأحزاب من

المشاركة فضعفت وضعفت معها الخطبة السياسية، أما في العصر العباسي الثاني فقد ضعفت فيه ضعفاً شديداً وأصبحت نادرة فيه.

### مميزات الخطابة الحفلية في العصر العباسي

ضعفت الخطابة الحفلية في العصر العباسي الأول لأن وفود العرب لم تعد تَد على قصور الخلفاء كما كانت في عهد بني أمية، فلم تعد هنالك وسائل اتصال بين الخليفة والرعية، ولذلك اقتصرت الخطابة الحفلية على بعض المناسبات فيقوم الخطباء للتعزية بموت خليفة أو التهئة لمن تولى الخلافة إذ كان يعقد لمن تولى حفل كبير يؤمه رجال الدولة فيتقدم خطيب مفوه يبارك هذه الخلافة ويمتدحها ويدعو إلى الطاعة والمبايعة للخليفة الجديد، وقد تضاءلت الخطابة الحفلية ولم يعد لها شأن يُذكر، أما في العصر العباسي الثاني فقد ضعفت الخطبة الحفلية ولم يظهر منها سوى شظايا قليلة متناثرة لا يمكن تبيين ملامحها بوضوح.

### مميزات الخطابة الدينية في العصر العباسي

ازدهر الوعظ والخطابة الدينية في العصر العباسي الأول، وقد شارك الخلفاء والولاة بهذه الخطب فقد وردت عن المهدي والرشد خطب ماثورة، وقد كان مما أضعف الخطابة في هذا العصر أن الرشد سن أن يخطب الخلفاء بكلام غيرهم، وإن كانت الخطابة قد ضعفت على السنة الولاة والخلفاء إلا أنها ازدهرت في بيئة الوعظ والنسك الذين أشاعوا في مواظبتهم الإيمان الشديد والثقة الوطيدة بما عند الله وتذكير الناس بأن متاع الدنيا زائل،<sup>[1]</sup> أما الخطابة الدينية في العصر العباسي الثاني فقد ضعفت على السنة الخطباء ولكتها بقيت مزدهرة في المساجد وفي خطب الجمع والعيد، فأصبح

من المعتاد ألا يخطب الخليفة يوم الجمعة ويستثنى من ذلك ما جاء عن الخليفة المهدي الذي بقي يخطب مدة عام، فكان يخطب بالناس ويؤمهم، ولا بد من الإشارة إلى أنّ الخطابة الدينية نشطت نشاطاً كبيراً في المساجد وحلقات الوعظ فالمساجد كانت مفتوحة دائماً فكان الواعظ يجعل دروسه عقب الصلوات، كما أنشأ منذ أوائل العصر طبقة سُميت بالمذكّرين وكانوا من الصوفية وقد أخذت مواظ هذه الفئة تصوّر جهادهم وورعهم فأصبحت هذه القصص لتكون ضرباً من ضروب الآداب الشعبية العربية فكان للخطاب الصوفي إسهامٌ كبيرٌ في ظهور تلك الآداب وطبعها بطوابع الشعب ولغته وألفاظه.

#### الخطب الحربية : . . . :

إن العصر الذهبي للخطب الحربية هو العصر الذي شهد معارك الفتح الإسلامي في أيام الخلفاء الراشدين وبنو أمية، وشهد أيضاً الحروب الناشئة عن الفتنة التي مني بها المسلمون منذ أواخر عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وقد كان قادة الجيوش والخطباء المرافقون لكل جيش يلهبون حماس المقاتلين بالخطب قبل المعركة ، ويلقون الخطب في أعقاب المعارك للتهنئة بالانتصار . غير أن الخطب الحربية خفت صوتها مع ركود حركة الفتح وضعفت شوكت الأحزاب المعارضة في العصر العباسي، وإن كانت الحروب التي شهدها هذا العصر بين العباسيين والروم أو بين العباسيين والخارجين عليهم، قد ظلت حافزاً لإلقاء الخطب الحربية بين حين وآخر .

ولعل أول ما يتبادر إلى الذاكرة من هذه الخطب ، خطبة أبي العباس السفاح التي ألقاها في أهل الشام بعد انتصار العباسيين على الأمويين في إحدى المعارك:

ومن قوله فيها: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ) ، نکص بكم -

يأهل الشام - آل حرب وآل مروان، يتسكعون بكم الظلم،...

## نص, الخطبة : حفظ

ولما قتل المنصور أبا مسلم خطب الناس فقال :

( أيها الناس ، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ولا تسروا غش الأئمة فإنه لم يسر أحد قط منكراً إلا ظهرت في آثار يده ، أو فلتات لسانه ، وأبداها الله لإمامة لإعزاز دينه ، وإعلاء حقه . إنا لن نبخسكم حقوقكم ، ولن نبخس الدين نبخس الدين عليكم ، إنه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبيئ هذا الغمد .

وإنّ أبا مسلم بايعنا ، وباع الناس على أنه نكث بنا فقد أباح دمه ، ثم نكث بنا ، فحكمتنا عليه حكمه على غيره لنا ، ولم تمنعنا رعاية الحق له، من إقامة الحد عليه .

## المصادر والمراجع :

- تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الاول : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - الاسكندرية ، ١٩٨٦ .
- تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الثاني : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - الاسكندرية ، ١٩٨٦ .
- الادب العربي في العصر العباسي : د. ناظم رشيد ، دار الكتب الوطنية - العراق ، ١٩٩٠ .
- تاريخ الادب العربي : كارل بروكلمان ، نقله الى العربية : عبد الحليم النجار ، دار المعارف - الاسكندرية ، (د.ت.) .
- تاريخ الأدب العربي : د. عمر فروخ ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط٤ ، ١٩٨١ .

- الجاحظ : د. طه الحاجري ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- كتب أبي حيان التوحيدي .
- كتب ابن المقفع .
- مقامات بديع الزمان الهمذاني .
- مقامات الحريري .
- كتب فن المقامات قديماً وحديثاً .
- كتب الرسائل وفنونها .
- كتب الخطب وفنونها .